Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

عندما تسرح عقول العلماء ويغيب عنها الدليل

الطيب حسين الهريش

قسم التربية الإسلامية– كلية التربية– جامعة مصراتة

e.elharish@edu.misuratau.edu.ly

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق وآله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فإن هنا البحث "عندما تسرح عقول العلماء ويغيب عنها الدليل" يتكلم على ظاهرتين هما المطر وحركة دوران الأرض، وقد قسمته ألي مبحثين:

- المبحث الأول: المطر.
- المبحث الثاني: حركة دوران الأرض.

وانتهى البحث بخاتمة احتوت على بعض النتائج والتوصيات وفهرس للمصادر.

والحمد لله رب العالمين

الكلمات المفتاحية: عقول العلماء، غياب، دليل.

Abstract

In the name of Allah the Merciful Research Summary

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the master of creation WA to him and his family and companions.

This search "when the minds of scientists and the evidence is absent" Speaks about two phenomena rain and movement Duaran land, where accounting to two topics, and its what follows:

- The first topic: Rain.
- The second topic: the movement of the two corners of the earth.

The research concluded with a conclusion containing some conclusions and recommendations and a catalog of sources.

Keywords: scholars, minds, absent minded, evidence absence.

الحمد لله الذي علم بالقلم، وخلق الإنسان من عدم، وعلمه ما لم يكن يعلم، مالِك يوم الدين، وهادِي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم على إمام المعلمين والمحققين، وسيد الناس أجمعين، ثم أمّا بعد:

فإن من أهم الأشياء لطالب العلم عدم مروره على الكلام الذي يصدر عن العلماء في كتبهم من غير دليل من القرآن ولا من السنة ولا دليل علمي، فالعلم علم الله، والدليل دليل الله، ولا يمكن أن يتعارضا، فإذا حصل تعارض فهو تعارض ناتج عن أفهامنا نحن بني البشر، فأفهامنا تتعارض، فهي صفة البشر الذي يعتريه النقصان في كل شيء، والعلماء كغيرهم تسرح عقولهم في بعض المسائل العلمية التي يغيب عنهم من الدليل، مما يجعلهم عرضة للوقوع في الخطأ؛ لأنهم بنوا كلامهم على كلام ظني لا أساس له من الصحة.

ومن هنا يرى الباحث التكلم على قضيتين، أحداهما: ذكرها الصفتي – رحمه الله – نقلا عن الشيخ الشبرخيتي –رحمه الله–، وهي كيفية نزول المطر من السماء، وثانيهما: تكفير من قال بحركة الأرض حيث قالها الشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكفائي –رحمه الله – حينما سأله أحد الحاضرين عن ذلك، فرأى الباحث أن يقوم بدراستها وتحليلها وبيان ما هو مقبول وغير مقبول.

واعتمد الباحث في بحثه على المنهج التحليلي، عبر تتبع أقوال العلماء، فكانت خطة البحث شاملة على:

- المقدمة: وفيها سبب الاختيار، ومنهج البحث، وخطة البحث.
- المبحث الأول/ المطر.
- المبحث الثاني/ حركة الأرض.
- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.

والله الموفق والهادي إلى الصواب.

المبحث الأول

المطر

قال الشبرخيتي: المطر عند أهل السنة ينزل قطعا كبار من بحر تحت العرش، فينبسط على السحاب، والسحاب كالغربال، فينزل المطر قطرات من عيونه، والثلج بمثلثة هو ماء ينزل من السماء، ثم ينعقد على وجه الأرض، ثم يذوب بعد جموده (الصفتي، 2006، ص 97).

وقبل نقاش هذه المقولة يجب علينا معرفة ما هو المطر في آيات القرآن الكريم ؟ونشأة المطر من الناحية العلمية.

المطر: يقصد به سقوط المياه من أعلى إلى أسفل، أي: من السحاب إلى الأرض. ويعبر عنه في القرآن أحيانا بالغيث، وتارة بالمطر، فيا ترى ما الفرق بينهما ؟

إذا عبر الله بالغيث في القرآن الكريم فاعلم أن الموطن الذي ذكر فيه هو من مواطن النعمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الشورى: 28

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: والغيث المطر؛ وسمي الغيث غيثا؛ لأنه يغيث الخلق، وقد غاث الغيث الأرض، أي: أصابها، وغاث الله البلاد يغيثها غيثا، وغِيث الأرضُ تُغاث غيثا فهي أرض مَغيثة ومَغْيُوثة. وعن الأصمعي قال: مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا فسألت عجوزا منهم: أتاكم المطر؟ فقالت غِثنا ما شئنا غَيْثًا، أي: مُطِرنا. (القرطبي، 1996م، ج20/16).

وأما إذا أتى بمعنى المطر فاعلم أن المقام مقام عذاب وتخويف، كما في قوله تعالى:﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الأعراف:84.

وفي قوله تعالى:﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ الحجر: 74. وكذلك في قوله تعالى﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ الشعراء: 173. (أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله:﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾، روي: أن لوطا بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم – عليه السلام– إلى الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة، فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا. وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم.(البيضاوي،2009م، ج38/3).

ومثل ما سبق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾ الفرقان: 40.

وأحيانا يعبر عنه بنزول الماء من السماء، أو بنزوله من السحاب، كما في قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ الحج: 63.

أورد الشنقيطي في تفسير هذه الآية والأظهر أنها أقرب للواقع، فقال: الظاهر أن "تر" هنا من رأى بمعنى علم، لأن إنزال المطر وإن كان مشاهداً بالبصر فكون الله هو الذي أنزله، إنما يدرك بالعلم لا بالبصر، فالرؤية هنا علمية عَلَى التحقيق.(الشنقيطي، 1995م، ج69/25).

وقال الزحيلي: أي: ألم تعلم أيها المخاطب أن الله يرسل الرياح، فتثير سحابا، فيمطر على الأرض الجرز التي لا نبات فيها، وهي هامدة يابسة، فتصبح زاهية نضرة، مخضرة بالنباتات والأزهار ذات الألوان البديعة، والأشكال الرائعة، بعد يبسها وجمودها، قال الخليل: المعنى انتبه! أنزل الله من السماء ماء، فكان كذا وكذا. (الزحيلي، 1418هـ، ج269/17).

وقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَانُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ فاطر: 27.

قال ابن عاشور: فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَسَخَّرَ السَّمَاءَ حَقِيقٌ بِأَنْ تُطِيعَهُ الْقُوَى وَالْعَنَاصِرُ، فَهُوَ يُخْرِجُ النَّبَاتَ مِنَ الْأَرْضِ بِسَبَبِ مَاءِ السَّمَاءِ، فَكَانَ تَسْخِيرُ النَّبَاتِ أَثَرًا لِتَسْخِيرِ أَصْلِ تَكْوِينِهِ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ وَتُرَابِ الْأَرْضِ.(ابن عاشور، 1984، ج16 /238).

وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر: 21. أنزل من السماء، أي: من السحاب ماء، أي: المطر. (القرطبي، 1996م، ج160/15)

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ النحل: 10

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ المؤمنون: 18.

وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ الفرقان: 48

وقال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان: 10.

وقال تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ **الواقعة:68–69** (المزن بمعنى السحاب).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: 57.

وذكر الجزائري –رحمه الله– أن هذه السحب محملة ببخار الماء فقال: أقلت سحاباً ثقالاً، أي: حملت سحاباً ثقالاً مشبعاً ببخار الماء. (الجزائري، 2003م، ج184/2).

واعلم أن الآيات التي تتحدث عن المطر في القرآن الكريم كثيرة جدا والنتيجة التي يخلص لها إما أنها عبارة عن سحاب محمل ببخار الماء، أو ماء أنزله الله من السماء، والرؤية علمية وإن كان نزول المطر مشاهدا بالبصر.

نشأة المطر:

السحب عبارة عن كتل متجمعة من بخار الماء تسبح معلقة في الهواء، ومادامت قطيرات الماء في السحب لم تزد في وزنها، فإنها لا تتعرض للتساقط وتظل مستقرة ومعلقة في الهواء. أما إذا كبر حجم قطيرات الماء وزاد وزنها تبعا لتجمعها حول نوايات التكاثف المجهرية في الهواء، فيصبح من الصعب أن يحملها الهواء وتتعرض في هذه الحالة للسقوط، وتصل إلى سطح الأرض على شكل مطر. (الصوفي،2007م، ص126).

هذا تصور أغلب المفسرين لنزول المطر في القرآن الكريم، أما نزول المطر مخالفاً للسنن الكونية فكأن ينزل بدلا من الماء حجارة مثلا، فهذا يختص الله بعلمه وكيفية نزوله.

المطر ظاهرة علمية عند علماء العصر الحديث:

مراحل تكون المطر:

إن ما تعلمناه في مرحلتي التعليم الأساسي والمتوسط أن تكوين المطر يمر بعدة مراحل:

أولها: عملية التبخر، وهي تحول الماء من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية نتيجة ارتفاع درجة الحرارة.

فعند تعرض أسطح المحيطات والبحار إلى درجة حرارة الشمس تتم عملية التبخير وتتصاعد جزيئات الماء إلى أعلى.

ثانيها: عملية التكاثف وهي عملية تحول الماء من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة نتيجة انخفاض درجة الحرارة، وهذه الحالة عكس عملية التبخر ويتحول فيها بخار الماء إلى سائل ويتكاثف الماء على شكل غيوم، ويشترط في تكون هذه الظاهرة الآتي:

- تغير درجة الحرارة.
- توفر هواء مشبع ببخار الماء.
- توفر أنوية للتكاثف.

هطول الأمطار:

وبعد تَكَوّن السحب تبدأ بالحركة في السماء بسبب التيارات الهوائية، منتقلة من مكان إلى مكان، حسب وزنها وكثافتها، وبمرورها بمناطق باردة، تبدأ جزئيات الماء بالاتحاد بعضها مع بعض، فيكبر حجمها، وعندها لا يمكنها الاستقرار، والآن بعد أن عرفنا المطر من خلال آيات القرآن الكريم، والظاهرة العلمية لنشأة المطر نبدأ مناقشة قول الشيخ(غفر الله لنا وله) في كيفية هطول المطر من السماء.

تحليل النص:

قوله: (المطر عند أهل السنة) تتباين فيه أقوالهم، والأكثر هو قولهم نزول المطر من السحاب، لا يتكلمون فيه بغير هذا.

قوله: (ينزل قطعا كبار من بحر تحت العرش فينبسط على السحاب)، لم أجد دليلا على هذا الكلام لا من القرآن ولا من السنة ولا أي دليل علمي، المطر لا ينزل إلا من السحاب، وفق الظاهرة العلمية التي مر بنا تحليلها، ولا يمكن له نزول من بحر تحت العرش، فالمسافة بين السماء والأرض شاسعة كما في الحديث الذي رواه: **سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه– قال: كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((أتدرون ما هذا ؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم فقال: السحاب فقلنا: السحاب ؟ فقال: و المزن فقلنا: و المزن ؟ فقال: و العنان ثم سكت ثم قال: تدرون كم بين السماء و الأرض ؟ فقلنا: الله و رسوله أعلم فقال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة و بين كل سماء التي تليها مسيرة خمس مائة سنة و كثف كل سماء مسيرة خمس مائة سنة و فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه و أسفله كما بين السماء و الأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهم وأظلافهم كما بين السماء و الأرض و الله فوق ذلك ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء))** (النيسابوري، 1990م، 410/2)، أخرجه أبوداود والترمذي وابن وماجه، وهو حديث صحيح، ولو تأمل الشيخ هذا الحديث لأدرك المسافة التي بين السماء والسماء، فكيف ينزل ماء المطر من تحت بحر العرش وهو خارج الجاذبية الأرضية وهو ينزل كقطع كبيرة علما بأن هذه المسافة تقاس الآن بالسنين الضوئية، ومعلوم أن السنة الضوئية: هي المسافة التي

يقطعها الضوء خلال سنة. وهي تعد مسافة شاسعة لا يمكن لقطع من الماء أن تتجاوز هذه المسافة. هذا قول باطل لا يقبله عقل ولا شرع.

قوله: (والسحاب كالغربال فينزل المطر قطرات من عيونه)، تشبيه السحاب كالغربال وهذا أيضا لا دليل عليه لا من القرآن ولا من السنة ولا دليل عليه من العلم الحديث، فالسحاب لا ينشأ إلا من العناصر التي تكلمنا عليها مسبقا.

قوله: (**والثلج بمثلثة هو ماء ينزل من السماء، ثم ينعقد على وجه الأرض، ثم يذوب بعد جموده**)، والثلج يتكون عندما تمر حبات المطر بتيارات هوائية باردة درجة الصفر المئوي، ثم يذوب عندما ترتفع عن ذلك، هذا ما يقوله الدليل العلمي.

وخلاصة القول أن ما قاله الشيخ الشبرخيتي – غفر الله له – لا دليل عليه من القرآن ولا من السنة ولا دليل علمي عليه، وفي ذلك الزمن يتعذر وجود الدليل كما في وقتنا الحاضر حيث وجود الطائرات التي يمكنها اختراق السحاب، ومع وجود الأجهزة العلمية التي يمكن ترقبها نزول المطر ومعرفة سبب تكونه وهطوله، وليس بالتخمين أو بكلام من نسج الخيال.

المبحث الثاني

حركة الأرض

دراسة قول العالم محمد بن يوسف المعروف بالكافي- تونسي الأصل- الذي أورده في كتابه "المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية" حيث قال: "**ضمنا مجلس في منزل الفاضل الكامل شيخ القراء سيدي ومولاي الشيخ محمد سليم الحلواني يوم الأضحى من سنة 1351هـ المنصرمة، فسألني بعض الحاضرين عن حكم من يقول بحركة الأرض وسيرها، فأجبته بأنه كافر، فقال لي: وبماذا تكفره، فقلت له: لتكذيبه الله تعالى في خبره؛ لأن الله– سبحانه وتعالى– أخبر في عدة آيات بعدم تحركها والله سبحانه وتعالى يستحيل عليه الكذب وما في معناه**".(الكافي،1934م، ص2).

قبل أن نبدأ في مناقشة هذا القول دعونا نبين حركة الأرض من الناحية العلمية وما توصل إليه العلم الحديث، ونبدأ حديثنا بطرح السؤال الآتي:

ما معنى حركة الأرض؟

للأرض حركتان: حركة حول محورها، وحركة حول الشمس، فأما الحركة الأولى ينتج عنها تعاقب الليل والنهار، والحركة الثانية –أي حركتها حول الشمس– ينتج عنها تعاقب الفصول الأربعة، قال الدكتور زغلول النجار في وصف حركة كل من الأرض والشمس والقمر، مسترشدا بالآية 33 من سورة الأنبياء كما **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ الأنبياء: 33، وكذلك بالآية 40 من سورة يس والتي يقول الله تعالى فيها:﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ يس 40، فالليل والنهار ظرفا زمان لا بد لهما من مكان، والمكان الذي يظهران فيه هو الأرض، ولولا كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس لما ظهر اليل ولا النهار، ولا تبادل كل منهما نصفا سطح الأرض ؛ والدليل على ذلك أن الآيات في هذا المعنى تأتي دوما في صيغة الجمع، ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ ولو كان المقصود سبح كل من الشمس والقمر فحسب، لجاء التعبير بالتثنية ((يسبحان))، كما أن السبح لا يكون إلا للأجسام المادية في وسط أقل كثافة منها، والسبح في اللغة هو الانتقال السريع للجسم بحركة ذاتية فيه من مثل: حركات كل من الأرض والشمس والقمر في جري كلٍّ منها في مداره المحدد له، فسبح كل من الليل والنهار في هاتين الآيتين الكريمتين إشارة ضمنية رقيقة إلى كل من جري الأرض في مدارها حول الشمس، وإلى تكورها ودورانها حول محورها أمام الشمس. (النجار، 2005، ص264-265).

كذلك يشهد لحركة الأرض ما ورد في كتاب الله العزيز الآية 88 من سورة النمل حيث **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾

النمل: 88، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: تتحرك وتمر كما يمر السحاب، لكنك لا تشعر بهذه الحركة ولا تلاحظها ؛ لأنك تتحرك معها بنفس حركتها.(الشعراوي، 1991م،ج17/ 10858).

وورد في الجواهر أن في هذه اللطيفة عجيبة من عجائب القرآن، وهي أن هذه الآية بديعة الوضع محكمة الصنع فإن التفسير يناسب المتقدمين من الأمة الإسلامية، وإذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس، والجبال بالطبع سائرة معها وتراها الآن جامدة وهي في الحقيقة جارية جريا سريعا جدا، فإن ذلك يناسب قوله: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾. (طنطاوي جوهري،ج252/7).

وأيد الإمام الرازي سكون الأرض حيث قال: لو كانت حركتها بالاستدارة لم يكمل انتفاعنا بها ؛ لأن حركة الأرض مثلاً إذا كانت إلى المشرق والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب ولا شك أن حركة الأرض أسرع فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، فلما أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة ولا بالاستقامة فهي ساكنة، واختلفوا في سبب ذلك السكون.(الرازي،2005م، ج102/1).

وهذا باطل لا دليل عليه، والعلم الحديث يفند هذه المزاعم.

تحليل النص:

قوله: (فسألني بعض الحاضرين عن حكم من يقول بحركة الأرض وسيرها، فأجبته بأنه كافر) لا دليل على تكفيره من القرآن ولا من السنة ولا ينبغي لمسلم أن يكفر إلا بالدليل واضح كوضوح الشمس في النهار كما قال في ذلك العلاَّمة اليمني– رحمه الله – محمد بن علي الشوكاني: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يقدمَ عليه إلا ببرهانٍ أوضحَ من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة، أن: ((مَن قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما))؛ هكذا في الصحيح، وفي لفظ آخر في (الصحيحين) وغيرهما: ((مَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه))؛ أي رجع، وفي لفظ في الصحيح: ((فقد كفر أحدهما))، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظمُ زاجر، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير". (الشوكاني،2004م،ص978).

وكما قال ابن دقيق العيد، عند شرحه لحديث أبي ذر: "وهذا وعيدٌ عظيم لمن كفر أحدًا منَ المسلمين وليس كذلك، وهي وَرْطَة عظيمة، وَقَعَ فيها خَلْق كثير منَ المتكلمين ومن المنسوبين إلى السُّنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بِكُفْرهم ."(ابن دقيق العيد، 2002م، ص 822، 823).

واعلم أن التكفير لا يكون إلا بشيئين اثنين هما:

1- أن يكون الفعل مكفرًا لا شبهة فيه.

2- أن يكون فعل المكلف أو قوله صريح الدلالة على الكفر.

واعلم بأنه لا شيء منهما متحقق هنا، فقوله قد كفر، مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وأما **قوله:**(**فقال لي: وبماذا تكفره، فقلت له: لتكذيبه الله تعالى في خبره؛ لأن الله– سبحانه وتعالى– أخبر في عدة آيات بعدم تحركها والله سبحانه وتعالى يستحيل عليه الكذب وما في معناه**). استدلاله بالآية الكريمة الذي قال الله تعالى فيها:﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: 15

قال الشيخ الشعراوي – رحمه الله –: لو كانت الأرض مخلوقة على هيئة الاستقرار لما خلق الله الجبال، ولكنه خلق الأرض على هيئة الحركة، ومنع أن تميد بخَلْق الجبال ليجعل الجبال رواسي للأرض. (الشعراوي، 1991م، 13 / 7850).

واستدل الفخر الرازي على سكون الأرض بقول ابن عباس: قال ابن عباس: لما بسط الله تعالى الأرض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرساها الله.(الرازي، 2000م، 135/19).

وقال الزمخشري في تفسره: **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ النمل: 88 من جمد في مكانه إذا لم يبرح. تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفه ثابتة في مكان واحد) وَهِيَ تَمُرُّ (مرّاً حثيثاً كما يمر السحاب. وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد: إذا تحرّكت لا تكاد تتبين حركتها، كما قال

النابغة في صفة جيش: بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُم وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تَهَمْلَجُ. (الزمخشري، 392/3).

وأحسن تفسير لهذه الآية ما قاله الشعراوي: تظنها ثابتة، وتحكم عليها بعدم الحركة؛ لذلك نسميها الرواسي والأوتاد ﴿**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب**﴾ النمل: 88 أي: ليس الأمر كما تظن؛ لأنها تتحرك وتمر كما يمرّ السحاب، لكنك لا تشعر بهذه الحركة ولا تلاحظها لأنك تتحرك معها بنفس حركتها.

وهَبْ أننا في هذا المجلس، أنتم أمامي وأنا أمامكم، وكان هذا المسجد على رحاية أو عجلة تدور بنا، أيتغير وضعنا وموقعنا بالنسبة لبعضنا؟

إذن: لا تستطيع أن تلاحظ هذه الحركة إلا إذا كنتَ أنت خارج الشيء المتحرك، ألاَ ترى أنك تركب القطار مثلاً ترى أن أعمدة التليفون هي التي تجري وأنت ثابت.إلى أن قال: ولو خُلِقتْ الأرض على هيئة السُّكون ما احتاجتْ لما يُثبّتها، فلا بُدَّ أنها مخلوقة على هيئة الحركة.

في الزمن الماضي وقبل تطور العلم كانوا يعتقدون في المنجّمين وعلماء الفلك الكفرة أنهم يعلمون الغيب، أما الآن وقد توصَّل العلماء إلى قوانين حركة الأرض وحركة الكواكب الأخرى في المجموعة الشمسية واستطاعوا حساب ذلك كله بدقة مكّنتهم من معرفة ظاهرة الخسوف والكسوف مثلاً ونوع كل منهما ووقته وفعلاً تحدث الظاهرة في نفس الوقت الذي حددوه لا تتخلف.

واستطاعوا بحساب هذه الحركة أنْ يصعدوا إلى سطح القمر، وأن يُطلِقوا مركبات الفضاء ويُسيّروها بدقة حتى إنَّ إحداها تلتحم بالأخرى في الفضاء الخارجي.

كل هذه الظواهر لو لم تكن مبنية على حقائق مُتيقَّنة لأدتْ إلى نتائج خاطئة وتخلفتْ.(**الشعراوي، 1991م، 10857/17، 10858**).

وخلاصة القول أنه لا مجال بالقول بالسكون الأرض فهي متحركة، والعلم الحديث يثبت هذا.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة التي تم فيها الرد على بعض الأقوال المغلوطة والتي بلا دليل عليها من الأدلة الشرعية، توصّل الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات، وهي على النحو الآتي:

النتائج:

1- لا يمكن التسليم لأي عالم فيما يقوله بعيدا عن الأدلة الشرعية، فكل عالم يؤخذ منه ويرد عليه إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

2- الدليل العلمي له اعتباره في مثل هذه الأقوال ولا يمكن الاستهانة به.

3- تمييز العلماء بين من يعتمد على النقل ومن يعتمد على العقل ومن يعتمد عليهما معاً.

التوصيات:

- على كل باحث أن يهتم بنقل مثل هذه الأقوال وتحقيقها علميا، وتصفية كتب التراث منها وبيانها للناس.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبيِّ الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

ابن دقيق العيد، محمد بن علي القشيري.(2002م). إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تح: حسن أحمد إسبر، لبنان: بيروت، دار ابن حزم.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر .(1984م). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية.

البيضاوي، عبدالله أبي عمر محمد الشيرازي .(2009م). تفسير البيضاوي، لبنان: بيروت، دار الفكر.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر. (2003 م). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، السعودية: المدينة المنورة، دار العلوم والحكم.

جوهري، طنطاوي جوهري .(د.ت). الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مصر: دار الفكر.

الرازي، فخر الدين عمر .(2005). تفسير الفخر الرازي، لبنان: بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى.

الرازي، فخر الدين محمد عمر التميمي.(2000). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1997). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لبنان: بيروت، دار الفكر.

الزمخشري، محمود بن عمر. (2010). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوايل في وجوه التأويل، تح: عبدالرزاق المهدي، لبنان: بيروت، دار أحياء التراث العربي.

الشعراوي، محمد متولي .(1991م). تفسير الشعراوي، القاهرة: الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني.(1995). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لبنان: بيروت، دار الفكر.

الشوكاني، محمد بن علي.(2004). السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لبنان: بيروت، دار ابن حزم، ط1.

الصفتي، أحمد بن تركي(2006) حاشية الصفتي، القاهرة: شركة القدس.

الصوفي، ماهر محمد.(2007). الموسوعة الكونية الكبرى،ط1، لبنان: صيدا، المكتبة العصرية.

الكافي، محمد بن يوسف (1934)، المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية، القاهرة: مطبعة حجازي.

النجار، زغلول راغب محمد، (2005م)، الأرض في القرآن الكريم، لبنان: بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى.

النيسابوري، محمد عبدالله الحاكم .(1990م). المستدرك على الصحيحين، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية.